بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للّه، والصَّلاة والسَّلام عَلَى رسُولِ اللّه، وعَلَى آله وصَحبه، ومنْ اهتدَى بهُداه، وبَعد:

فَهَذِه فَقَراتٌ مُقتبسةٌ ومُرتبةٌ مِن مقالٍ بديعٍ ماتعٍ مُعنونٍ بـ: « يَقُولُون ... وَأَقُول!! » لأحد رُوّاد الإصلاح الدّيني وخَطِيب السَّلفيِّين وشَاعِرِهِم وَكَاتِبِهِم العلاَّمة الشَّيخ الطَّيِّب العُقْبيّ رَحِمَهُ اللَّهُ، والمقَال فيهِ إفَادات وَتَوضِيحَات في مَسَائِلِ تَوحيدِ العِبادَة، وهُو مَنشُورٌ بتَمَامِهِ في جَريدَةِ « الشِّهاب »، السّنة الثَّالثة، العدد (١٢٤)، الخميس ٦ جمادى الثَّانية ١٣٤٦هـ، ١ دسامبر ١٩٢٧م.

أَسأل اللّه جلَّ في عُلاه وعظُمَ في عَالي سمَاه أن ينفعَ بهَذا التَّرتيب، إنَّه خير مسؤول، وأكرم مأمول، والحمد للّه ربّ العالمين.

يَقُولُون ... وَأَقُول!!:

١- **يقولون**: إنِّي عدوٌّ لأولياءِ اللّه الصَّالحين، وذلك لما بيَّنتُه مِن عقيدتي في قصيدتي: « إلى الدِّين الخالص ».

وأقولُ لهم: ذلك الدِّين الخالص هُو الَّذي قرَّرَتْهُ عقائدُ التَّوحيد، وثبت في نصوص كُتب الدِّيانة الإسلاميَّة، وهو الَّذي أجمع عليه العُلماء وأئمَّة الدِّين قديمًا وحديثًا، ومَن لم يُرْضِهِ منكُم، فَلْيَأْتِنَا بحديثٍ صحيحٍ غيرِه إن كان مِن الصَّادقين، وأمَّا أولياءُ اللّه والصَّالحون، فإنِّي أُحبُّهم أكثر مِن كلِّ أحدٍ، وأسألُ اللّه أن يَحشرني في زُمرتهم ويُميتني على محبَّتِهم، وحَسْبِي دليلاً على ذلك، أنِّي أُسَلِّمُ عليهم جميعًا مع نفسي في كلِّ تشهّدٍ مِن صلاتي -الفرض والنّفل- أكثر مِن خمسة عشر مرّة في اليوم واللّيلة، فهل يكفيني مثلُ ذلك برهانًا على محبّتهم؟ أم لا بُدّ مِن أن أُقدِّسَهُم بغيرِ ما أذن اللّهُ فيه، وأَعبُدَهُم مِن دون اللّه، حتّى أَكون مُحبًّا لهم ومُؤمنًا بهم في نظر هؤلاء الملاحدة المجرِمين؟؟

٢- **يقولون**: دعِ الكلامَ على أولياءِ اللّهِ والجوامِع، وزُرْهُمْ وتَبرَّك بِهم معنا، ونحنُ نتبعُكَ في كلِّ ما تقول، ويعنون بالأولياء: كلّ قبرٍ يُقَدِّسُونه ويَعبدُونه مِن دون اللّه أو مع اللّه، ويعنون بالجوامع: ما يَبنُونه مِن تلك الأَنصاب ولو على غيرِ جُثَّةٍ مَدفونةٍ أو قبرٍ يُزار، وكذلك ما يُبَخِّرُونَهُ ويَطُوفُون به ويُوقِدُون عليه السُّرُج مِن الأحجارِ والأشجار.

وأنا أقولُ لهم: قال مَن قبلكم مِن مُشرِكي العرب الكُفّار لمحمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يا مُحَمَّد! هَلُمَّ فَاتَّبِعْ دِينَنَا ونَتَّبِعُ دِينَكَ، تَعْبُد آلهتنا سنةً ونَعْبُد إِلَهَكَ سنةً، فقال: مَعَاذَ اللّهِ أن أُشْرِكَ بِهِ غَيْرَهُ، قالوا: فَاسْتَلِمْ بعضَ آلِهتِنَا

نُصَدِّقك ونَعْبُد إِلَهَك، فنزلت عليه سُورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الكافرون: ١]، فغَدَا إلى المسجد الحرام وفيهِ الملأُ مِن قُريشٍ فقرأها عليهم، فَأَيِسُوا منهُ عند ذلك وآذَوْهُ وأصحابَهُ... »

٣- **يقولون**: إنّ الأولياء هُم الَّذين يَتَصَرَّفُون في الكَوْنِ أحياءً وأمواتًا، ولا تَتَحَرَّكُ شَعْرَةٌ في العالَم إلاَّ بإِذنهم، لأنَّ اللّهَ أعطاهُم الكَوْن.

فقلتُ: سُبحانك اللَّهُم هذا هُو الكُفْرُ بعَيْنِه، وهذا هُو البُهْتَانُ العظيم، إنَّ أولياءَ اللّه هُم ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٣] ليس لهُم ولا لغيرهم مِن الأمرِ شيءٌ، بل الأمرُ للّهِ وحده، وهُو الفَعَّالُ لِمَا يُرِيد، لا مُعَقِّبَ لحُكمِه، لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ، وليسَ للأولياءِ مَعَهُ في مُلْكِهِ شِرْكٌ، وما لَهُ مِنْهُم مِن ظَهِيرٍ، مَن مات منهُم فقد أَفْضَى إلى ما عَمِلَ، وانقطع عَمَلُهُ إلاَّ مِن ثلاثٍ، كما ورد في الحديث الصَّحيح[1]، ومَن حَيِيَ منهُم، فإنَّهم كالعِبادِ أمثالِنا، وهُم ونحنُ لنا التَّصرُّف الكَسْبِيّ الخاصّ، كما هُو لأَحْقَرِ الحيوانات وأقلّ الحشرات، فقد تَتَصَرَّفُ حتَّى العَقرب والنّملة والبَعُوضة كما هُو مُشاهد، فهذا التّصرُّف لا نُنكِرُهُ، وحيثُ شارَكَهُم فيهِ الغَيْرُ فلا معنى لتخصيصهم به! وأمَّا التّصرُّف المُطلق العامّ فهُو للمَلِكِ العَلاَّم قَيُّوم السَّماوات والأَرضين وما بينهُما، لَهُ الحُكْمُ وإِليهِ تَصِيرُ الأُمور، وواجبٌ على كلِّ مُسلمٍ أن يُؤمِن ويُصدِّق بقولِهِ عز وجل: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فاللّهُ هُو المُتَصَرِّفُ في العَالَمِ بأَسْرِهِ، لا إِلهَ إلاّ هُو رَبُّ السَّماوات والأَرضين، وربُّ كلّ شيءٍ، آمنتُ بِهِ وعليهِ توكَّلتُ وإِليهِ أُنِيب.

٤- **يقولون**: وَيَتَلَطَّفُ البعضُ منهُم في القول، وهُم عُلماؤُهم: إنَّنَا لا نَعبُدُ الأولياء والمشائِخ، ولكنَّنا بما نَفْعَلُهُ معهُم وعند قُبُورِهم نَعْبُدُ اللّهَ وحده وإنَّما جعلناهُم وَسِيلةً ووَاسِطةً بيننا وبين اللّه، ليَشْفَعُوا لنا عندَ اللّهِ ويُوصِلُونا إليه، فنحنُ نسأَلُهُم، وهُم يَسأَلُون لنا اللّهَ، ولا يَلِيقُ بنا ونحنُ مُلَوَّثُون بالذُّنُوب والمعاصي ومُقَصِّرون في الأعمال أن نَدْعُوَ اللّه رأسًا وبلا واسطة، وَإذا دَعَوْنَاهُم ودَعوا اللّهَ لنا استجابَ دُعاءَهُم لنا، لأنّهُم لا يُرَدُّ لهُم دُعاء، وسواءٌ علينا كان ذلك مِنَّا لهُم في حياتهم أو عند قُبُورِهم بعد مماتهم، لأنّهُم أحياءٌ في قبورِهم ولهم التَّصرُّفُ على كلِّ حالٍ.

وأنا أقولُ لهم: قالَ اللّهُ لمحمّدٍ رسولِهِ وأفضل أوليائِهِ وأحِبَّائِهِ على الإطلاق، مُرشِدًا لهُ ولأُمَّتِهِ ومُبَيِّنًا لنا مَن الَّذِي يَجِبُ علينا أن نَدْعُوَهُ

(١) رواه مسلم (٤٣١٠) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

فيَسْتَجِيبَ لنا ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]، ولم يَقُل: ادْعُو حَبِيبِي مُحمَّدًا ورسُولي، وهُو يَدعُوني، وقال أيضًا: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦]، فهل نَدْعُو بعد هذا النَّصِّ الصَّريح القريبَ الَّذِي هُو أقربُ إِلينا مِن حَبْلِ الوَرِيد، والَّذِي أَمَرَنَا بدُعائِهِ، وانْتَدَبَنَا بنفسِهِ إلى عبادتِهِ، ووَعَدَنا بأنَّهُ يُجِيبُ دَعوةَ مَن دعاهُ، ومَا عَلَينا إلاَّ أن نَستجِيبَ لَهُ ونُؤمِنَ بما قالَهُ « إيمانا بالقَلبِ واللِّسان، يُطابِقُ الواقِع والحَقِّ »، وفي ذلك السَّعادةُ الأبديَّة والسَّدَاد والرَّشَاد؟؟!، وهل يَجُوزُ لمُؤمنٍ « بعدَ هذا » يفهَمُ ما دَلَّت عليه الأوضاعُ العربيَّةُ مِن لفظٍ غيرِ مُحتمِلٍ لمعنَيَيْنِ أن يَدْعُوَ غيرَ هذا الرّبّ الكامِل، ولا يَستجِيبَ لدُعائِهِ إيَّاه ويَصْدِفَ عنهُ مُخالَفَةً لأَمْرِهِ؟؟، وقال عزّ من قائِلٍ: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، والآياتُ في ذلك كثيرةٌ، والقُرآنُ بين ظَهْرَانيكم فرَاجِعُوهُ واعملُوا على تَفَهُّمِ مَعانِيهِ تَهْتَدُوا، إن لم يَكُن رَانَ على قُلُوبِكُم ما تَفعلون، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ** »[2]، فكُلُّ مَن ضَرَعَ إلى اللّهِ ودَعَاهُ، فقد عَبَدَهُ بأفضلِ العِبادة، ومَن دَعَا غيرَ اللّهِ لِمَا يُدْعَى لَهُ اللّهُ وحدَهُ، فقد عَبَدَ ذلك الغَيرَ بأفضلِ العبادةِ أيضًا، فاختاروا أيَّ المَدْعُوّين تَدْعُون، وبابُ التّوبةِ مَفتوحٌ، فادعُوا اللّهَ مُذْنِبين أو غيرَ مُذْنِبين، واسأَلُوهُ كُلّ شيءٍ ولا تَسأَلُوا غيرَهُ، ودعوةُ الحقِّ للّهِ وحدهُ ﴿ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر: ٦٥]، وما زعمتُمُوهُ مِن دُعاءِ المذنِب غيرَ ربّه لا بُرهان لكُم عليهِ، ولا دليلَ مِن الشّرع يُرشِدُ إليهِ، فمِن أين لكُم هذا، ومَن أَملاهُ عليكُم؟؟ .. ﴿ قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [يونس: ٥٩]

وأمَّا اتّخاذُكُم للأولياء والمشائِخ شُفعاءَ عندَ اللّهِ ووَاسِطةً يُقرِّبُونكُم إليهِ زُلْفَى، بهذا المعنى، فهُو عينُ الشِّركِ المنهيِّ عنهُ، والَّذي لا يَغفرُهُ اللّهُ أبدًا، ويَغفِرُ ما دُون ذلك لمن يَشاء، واعلموا أنَّهُ لا وَاسِطةَ بينَ اللّهِ وعباده إلاَّ مَن عَلَّمَهُم كيفَ يَعبدُونه، وأبْلَغَهُم أَوامِرَهُ ونَوَاهِيه، مِثل الرُّسل والأنبياء أو وَرَثَتِهِم مِن العُلماء العاملين، فهُم واسطةٌ في هِدايتِهم إلى اللّهِ بإذنِهِ والدَّاعُون إليهِ بأمرِهِ، ولا يَجُوزُ أن يَتَقَوَّلَ عليهِ أحدٌ من دُعاةِ الحَقِّ بعضَ الأَقَاوِيل.

(٢) رواه التّرمذيّ (٣٣٧١) مِن حديثِ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهُو ضعيفٌ بهذا اللَّفظ، والصَّحيحُ « الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ »، رواهُ أبو داود (١٤٨١) والتّرمذيّ (٢٩٦٩) وابن ماجه (٣٨٢٨) مِن حديث النّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ »، انظر: « أحكام الجنائز » للألباني (ص:١٩٤).

وأمّا اعتبارُكُم لهُم شُفعاء بالمعنى المراد لكُم ولِمَن قالُوا هذا القول مِن قبلكم، فلاَ يَجُوز، وهُو الَّذِي عَابَهُ اللّهُ على المشركين الَّذِين قالُوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣]، وحَكَى اللّهُ لنا في مَعرض الذّمّ والتَّندِيد بأولئك الضّالِّين المُغَفَّلِين ما كانُوا يَفعلون، فقالَ عزّ مِن قائل: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ١٨]، فهذا كَقولِكُم أيُّها المؤمِنون!!

وأمَّا دَعْوى إثبات التَّصرُّف لهُم أَحياءً وأَمواتًا، فهَاتُوا بُرهانكُم عليهِ إن كُنتُم صادقين، ولو رَاجَعْتُم سِيرةَ مُحمّدٍ وأصحابِه لاهْتَدَيْتُم ..وأنَّى تَهْتَدُون؟

٥- **يقولون**: إنّ مَشائِخنا يَضْمَنُونَنَا مِن دُخول النّار، وهُم شُفعاؤُنا عند اللّه، وإنَّهم يَعلمُون الغَيب وما في الأَرحام، حتَّى إنَّهُم يَحضُرُون عند تصوير « الجَنين » في بَطْنِ أُمِّه، فيكونُ كما أرادُوهُ ذَكَرًا أو أُنْثَى! وبعضُهم يَبِيعُ الوَلَدَ الذَّكَرَ لطالبِهِ بثمنٍ معلوم وأُجرةٍ مَحدودةٍ، وأمَّا الغَيْثُ ونُزُولُ المطر، فهُو أَسهلُ شيءٍ عندهُم وفي أيديهم، ومَتَى أرادُوا نُزُوله نزل، وإنّما يَمنعهُم مِن ذلك عدمُ رِضاهم عن العباد، لأنَّهم قَصَّرُوا في خِدمة المشائخ، وفسدت نِيَّاتُهم في آخر الزَّمان، هكذا يَقُولون ويَعتَقِدُون، ويَزعُمون بعد ذلك أنّهم مُسلمون، والعُلماء بين ظَهْرَانيهم وكُتُبُ الدِّين عندهُم، والنَّاسُ في غفلةٍ عن كلِّ ما يَزعُمون ويَدَّعُون.

وأنا أقولُ لهم: ما قالهُ اللّهُ في كلامِهِ القديم لعِباده المُكَلَّفِين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣ - ٣٤] صدق اللّه العظيم[3]، وصَدَقَت عائشةُ فيما قَالَتْهُ لمَن سألها عن مِثلِ هذا: « **ذَاكَ في خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللّهُ** »، وقَرَأت الآية، وروى ابنُ عمر في الحديث الصّحيح أنّ

(٣) قولُ القائِلِ « صدق اللّه العظيم » في نفسِها حقٌّ، ولكن ذِكْرُها بعد نهايةِ قراءة القُرآن باستمرارٍ بدعةٌ، انظر: فتوى اللّجنة الدّائمة للإفتاء (رقم الفتوى: ٤٣١٠)، مع « مُعجم المناهي اللّفظيّة » للشَّيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ - (ص:٣٣٦-٣٣٧)

رسول الله ﷺ قال: « **مَفَاتِيحُ الغَيْبِ خَمْسٍ، وتَلاَ هَذِهِ الآيَةَ** »[٤].

وقال ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما: « **هَذِهِ الخَمْسَةُ لاَ يَعْلَمُهَا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلاَ نَبِيٌّ مُصْطَفًى، مَنِ ادَّعَى أَنَّهُ يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ، فَإِنَّهُ كَفَرَ بِالقُرْآنِ، لأَنَّهُ خَالَفَهُ** »، فَهَل مَشائِخُكُم أَعلمُ وأَتْقَى وأَجَلّ مِن هؤُلاءِ السَّادة، أَم أنتُم بأقوالِكُم هذه في الضَّلال تَعْمَهُون، وباعتقَادِكُم لها وإِقْرَارِها بينكُم تَكْفُرُون ومِن الإسلام تَمْرُقُون؟؟؟

٦- **يقولون**: الحقيقةُ غيرُ الشَّريعة، وإنِّي قُلتُ ما قُلتُهُ، لأنِّي أَعلمُ عِلمَ الظّاهر فقط، ولو عَلِمْتُ عِلمَ الباطِن، وقرأتُ كُتُبَ « القوم »، لَعَلِمْتُ أنّ كُلّ ما يَقُولُونه حَقٌّ لذاتِهِ، ولكنّه سِرٌّ مَكتُومٌ خُصّ به خواصُّ الخواصّ.

فقلتُ لهم: لا طريقةَ ولا حقيقةَ ولا شريعةَ إلاَّ ما كان عليه مُحمدٌ وأصحابُه الكِرام، فهُم خواصُّ الخواصّ، فسيرُوا بسَيْرِهِم تَكُونُوا مِن الصّادقين، وإلاَّ فأنتُم والحالةُ هذه تَنْسِبُون إليهم النَّقْص، وتَحُطُّون مِن أقْدَارِهم، وتَرَوْنَ أنفُسكم سَبَقْتُم إلى ما قَصَّرُوا هُم عنهُ، واهْتَدَيْتُم إلى ما لم يَهْتَدُوا إليهِ هُم، ونِلْتُمْ المقاماتِ العالية والمراتِب الجليلة الَّتي ما نَالُوها هُم، ولا جاءَ مِن أقوالهم عند وُصُولِهِم إليها ما جاءَنَا عن مَشائِخكُم وكلّ أقوالهم المأثورة المحفوظة لَدَيْكُم، والَّتِي تُقَدِّمُون الاحتجاج بها على كُلِّ شيءٍ، فقد قُلْتُم غيرَ ما قَالُوه، وفَعَلْتُم خِلافَ ما فَعَلُوه، ومع ذلك تَدَّعُون السُّلُوك والوُصُول، وتزعُمُون أنَّكُم مُحقُّون، والنَّبيُّ ﷺ يقول لهم: « **تَرَكْتُكُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَضِلُّ مَنْ سَلَكَهَا** »[٥]، فَهَلْ سَلَكَها الصَّحابةُ مِن بعدِه والتَّابِعُون، أم أنتُم وحدَكُم السَّالِكُون؟؟ وهل هُم أَهْدَى مِنكُم سبيلاً، أم أنتُم وحدَكُم الهَادُون المَهْدِيُّون؟ فماذا عَسَى تَقُولُون بعد هذا المقال، وماذا بعدَ الحَقِّ إلاَّ الضَّلال؟.

---

(٤) لعلَّهُ أرادَ ما رواهُ البخاريّ (٧٣٨٠) ومسلمٌ (١٧٧) -واللَّفظُ له، عن عائشة رضي الله عنها «قالت: « ثَلاثٌ مَن تَكلَّم بواحدَة منهُنَّ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ...ومَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الفِرْيَةَ، واللهُ يَقُولُ: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥] »، الحديث.

(٥) من ألفاظ حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: « لَقَدْ تَرَكْتُكُم عَلَى مِثْلِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلاَّ هَالِكٌ » رواهُ ابنُ ماجه وغيرُهُ، وهُو صحيحٌ، انظر: « ظِلال الجنّة في تخريج السُّنّة » (رقم: ٣٩، ٣٨، ٣٣) و« الصّحيحة » (٩٣٧) كلاهُما للألباني -، تنبيهٌ: لفظةُ: « المَحَجَّة » لم تَرِد في الرِّواية!

٧- **يقولُون**: لو تَوجَّهتَ بوَجهِكَ إلى جِهةِ القِبلة، ودَعَوْتَ سيدي فُلان ثلاثَ مَرّات، لَجَاءَكَ المَدَدُ والغَوْثُ، وقُضِيَت لكَ حاجتُكَ سَرِيعًا!

وأقولُ: ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [الأنعام: ٧٩].

٨- **يقولُون**: نحنُ وأموالُنا وحركاتُنا وسكناتُنا وحياتُنا ومماتُنا وكلُّ شيءٍ مِنّا للشّيخ ..ومتى رَضِيَ عنَّا فنحنُ السُّعداءُ الَّذِين لا نَشقى أبدًا!! ...

وأقولُ لهم: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣]

٩- **يقولُون لي**: سَلِّم لـ« رِجالِ البلاد » وادْعُهُم لكُلِّ ضُرٍّ مَسَّك ولكُلِّ حادِثٍ نَزَلَ بك، تَنفرِج عنكَ الأَزِمَّة، ويَزُولُ عنك كُلُّ هَمٍّ وغَمٍّ، وتَنكشِف بجَاهِهِم وشفاعَتِهم جميعُ المِحَن والكُرُوب ...إلخ ...

وأقولُ لهم: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٥٦]!

١٠- **يقولُون**: إنَّك لَشَدِيدُ العَداوةِ للأولياء الصّالحين، ولولا بُغْضُكَ لهُم لما كُنتَ تُعْرِضُ عن نِدَائِهِم والاِستغاثة بهم، حتّى عندما يَمَسُّك البَأْسُ ويَنْزِلُ بِكَ الضّر!

وأقولُ لهم: إنِّي لستُ مُبغِضًا للأولياء ولاَ عَدُوًّا لهُم، ولكن أَدْعُو اللّٰه وحده إذا مَسَّني الضّرّ والبَأس، لاعتقادِي بصِحّةِ قوله عزّ وجلّ ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ ﴾ [الأنعام: ١٧]، وهكذا كان يَفعلُ الأولياءُ والصّالحون!، أمَّا مَن يَدْعُو غيرَهُ ويَطلُبُ كشفَ ضُرٍّ مَسَّهُ عندَ سِواهُ، فقد قال في حَقِّهِم: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٣]

١١- **يقولُون لي**: إنّ عقائِدكَ هذه هي عقائدُ « الوهابيَّة ».

فقلتُ لهم: إذن، « الوهابيَّة » هُمُ الموحِّدُون ...

١٢- **يقولُون**: لقد هَلَكْنَا إذا لم يَتَدَارَكْنَا اللّٰهُ برحمتِهِ.

وأقولُ لهم: إنّ للرحمةِ أسبابًا، ومِن أسبابها توحيدُ الباري عزّ وجلّ وعدمُ الشِّرك بِهِ « في الذّات والصِّفات والأفعال »، فمَن لم يُشْرِك به شيئًا مِن خَلْقِهِ، رَجَوْنَا لَهُ معكُم كُلّ خيرٍ، واللّٰهُ أَرحمُ الرَّاحِمين ...

١٣- **يقولُون**: إنّ حَمْلَ الجنازة بـ« البُرْدَة » على الكيفيّة والحالة المعروفة

اليوم مَطلوبٌ مُرَغَّبٌ فيهِ شرعًا، وربّما يكونُ في حقِّ بعضِ الأشخاص الَّذِين هُم مِن الأعيان وذَوي الوجاهة واجبًا مَفروضًا! لأَنَّ حَمْلَهُم بدُونها وإِبقاء جنازتهم هكذا باردة .. مِمّا يَحُطُّ مِن شَرفِهِم ويَنزِلُ بأقدارهم، وقد « بَالغُوا » في الفتوى بهذا التّوجيه والاِستنباط العجيب والقول المعتمَد عندهم، ولِكَي لا تبقى للعَامّةِ شُبهةٌ في صِحّةِ فتواهم ذَكَرُوا لهم أنّ «سيدي مِصباح الظّلام» اعتمدَ هذا القول وحَقَّقَهُ ...

وأقولُ لهم: إنّ حَمْلَ الجنائز بمِثلِ هذه التُّرَّهات بدعةٌ شنيعةٌ ومُنكرٌ يَجِبُ على أولي الأَمْرِ إزالتُهُ وهُو مُخالِفٌ لآداب الإسلام وما سَنَّهُ لنا نبيُّنا خيرُ الأنام، ولم يَكُن عليهِ عَمَلُهُ وعَمَلُ السَّلَفِ الصَّالِح، وكُلُّ ما كان كذلك فهُو مِن الإحداث في الدِّين، وكلُّ حَدَثٍ في الدِّين فهُو ردٌّ عَلَى مُحْدِثِهِ، وشرٌّ لا خير، ولا حسن فيه، وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكُلُّ ضلالة في النّار، فاتَّقُوا اللّٰهَ! أيُّها المُتَمَشْدِقُون بما لا تَعلمون، والعالِمُون بما لا تُحَقِّقُون ولا تَعقِلُون، ومَن أنتُم بالذِّكرِ والقُرآن والمدائح مُتأَكِّلُون ومُرْتَزِقُون، وللعَامَّةِ بمِثلِ هذه التَّلبِيسات تَنْصِبُون وتخدعون، اتَّقُوا اللّٰهَ إن كُنتُم كما تَدَّعُون مِن المسلمين!، واعلمُوا أنّه لا « مِصباح الظّلام » ولا « ظلام المصباح » يَستطيعُ أن يُثبتُ في دينِ اللّٰهِ ما ليس مِنهُ وما هُو مِنهُ بريءٌ! فَدَعُو الاِفتراءَ وقولَ الزُّور، وكُونُوا مع الصَّادِقين!!

١٤- **يقولُون**: ما العمل؟ وكيف النَّجاةُ مِن هذه الوَرْطَة؟!

وأقولُ لهم: العِلمَ! العِلمَ! تَعَلَّمُوا وعَلِّمُوا أولادكُم أيُّها المُسلمِون، ثمّ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]

١٥- **يقولُ كُلُّ مَن أسألُهُ مِنهُم سواءٌ كان عالمًا أو جاهِلاً، مُوَحِدًا أو مُشرِكًا**: إنِّي مُسلمٌ، كأَنَّهُ يَفهمُ أنّ الإسلام عبارةٌ عن حَبْسٍ مَوقُوفٍ عليه لاَ يُغَيِّر ولاَ يُبَدِّل، وتُراثٌ ثَابِتٌ خَلَّفَهُ لهُ آباؤُه وأجدادُه الأَقدمون، أو هُو عبارةٌ عن جِنسيّةٍ لا غير، فتَكْفِي مُجرَّدُ النِّسبةِ إليه ...

وأقولُ لهم: إنّ الإسلامَ أقوالٌ وأفعالٌ تُطابِق الاِعتقادَ الصّحيح ... فافهمُوا معنى الإسلام جيِّدًا قبل كُلِّ شيءٍ، حتّى تكونَ نِسبتُكُم إليه حقيقةً، فتَلْحَقُوا بفريقِ السَّابقِين مِن إخوانكم المسلمين، وعندما يَصْلُحُ لكُلِّ واحدٍ منكُم أن يقول: إنِّي مُسلمٌ، ويَفتخر بالإسلاميّة مع المفتخِرِين!..

بيانٌ للإسلام الصحيح

يقولون... وأقول!!

بقلم

خطيب السلفيّين وشاعرهم وكاتبهم

الشيخ الطيّب العقبيّ رحمه الله

نُشر المقال على أجزاءٍ في جريدة (الشِّهاب) السّنة الثَّالثة من العدد (٥)

الخميس ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ ١٠ دسامبر ١٩٢٥م، إلى العدد (١٢٤)، الخميس ٦ جمادى الثَّانية ١٣٤٦هـ ١ دسامبر ١٩٢٧م

www.ilmmasabih.com

مكتبة المحجة

قالَ ابنُ المبارك: "لاَ أَعْلَمُ بَعْدَ النُبُوّةِ دَرَجَةً أَفْضَلَ مِنْ بَثِّ العِلْمِ" [«تاريخ دمشق»(32/455)]